

الفتوحات الإسلامية في ضوء السيرة النبوية وقيام الدولة الإسلامية

صالح بن ناصر الحمادي

Saleh Bin Nasser Al Hammadi

استشاري جمعية الأطفال المعاقين

Consultant of Disabled Children Association

alhammadi1955@gmail.com

مستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على مفهوم الفتوحات الإسلامية وأدلتها من القرآن الكريم , كما تهدف إلى الوقوف على أهم غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وجهوده في حقن الدماء عندما أقر بفتح مكة المكرمة . جاءت هذه الدراسة موزعة موزعة على أربعة محاور وهي : المحور الأول مفهوم الفتوحات الإسلامية وأدلتها في القرآن الكريم , حقيقة الفتوحات الإسلامية وطبيعتها , بداية الدعوة الإسلامية وكيفية تنظيم الرسول صلى الله عليه وسلم للدولة الإسلامية , أهم غزوات النبي صلى الله عليه وسلم . توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها : اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة في تأسيسه للدولة الإسلامية وهي الدعوة إلى الإيمان بالله من خلال الموعدة الحسنة , فقد خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم جميع فئات المجتمع باختيار الألفاظ المناسبة التي تشتمل على العلم النافع والعمل الصالح , الهدف من الفتوحات الإسلامية هو إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى بحيث يصبح الإسلام دين للبشرية جمعاء , كان الرسول صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على عدم إراقة الدماء وهو دليل على أنه القائد الفذ وأن الغرض من غزواته وفتحه لمكة هو حماية نشر الإسلام وتوطيد أركان الإسلام .

الكلمات المفتاحية: الفتوحات الإسلامية، السيرة النبوية، الدولة الإسلامية، الإسلام.

Summary

This study aims to identify the concept of Islamic conquests and its evidences from the Holy Quran. It also aims to identify the most important invasions of the Prophet (peace be upon him) and his efforts in bloodshed when he decided to conquest Makkah.

This study is divided into four axes: the first is the concept of Islamic conquests and its evidences in the Holy Quran, the fact of Islamic conquests and their nature, the beginning of the Islamic call and how to organize the Prophet peace be upon him to the Islamic state, the most important invasions of the Prophet (peace be upon him).

The study reached several results, the most important of which are: Follow the Prophet peace be upon him a rule in the establishment of the Islamic state is the call to faith in God through the good sermon. The Prophet (peace be upon him) addressed all categories of society by choosing the right words that include good science and good work, the goal of the Islamic conquests is to uphold the word of Allah Almighty so that Islam becomes a religion for all mankind, the Prophet peace be upon him very careful not to shed blood, a proof that he is the leader feat and the purpose of his invasions and opening it to Mecca is to protect the spread of Islam and the consolidation of Islam.

Keywords: Islamic conquests, Biography of the Prophet, Islamic State, Islam.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد،
أرسى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جملة من المبادئ السامية التي كان يحض عليها في أقواله، فانعكست بشكل ملموس على مواقفه وتصرفاته، فقد كان الرسول الكريم جامعاً بين الرحمة والإنسانية وبين استخدام القوة في مكانها الملائم بأسلوب يحقق فيه أهداف الدعوة الإسلامية.
لقد خاض الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من الغزوات التي اشتملت على مبادئ سامية استخدم فيها القوة للدفاع عن الدين الإسلامي ولكن بأسلوب حربي أخلاقي ذلك أن غايته عليه الصلاة والسلام تختلف عن غايات أعداء الدين.
اعتمد تأسيس الدولة الإسلامية بشكل كبير على شخصية الرسول الكريم وما كان يتحلى به من صفات منها: الصدق، العدل، الحكمة، راحة العقل وقوة البصيرة، فقد انعكس سلوكه الاجتماعي الإسلامي بشكل إيجابي فاستطاع صناعة أمة واحدة من قبائل متعددة ومتنوعة ومشتتة،

وعلى الرغم من الظروف التي مرت بها الدعوة الإسلامية من فتن في الداخل وزحف العدو من الخارج لكن الرسول الكريم استطاع بحنكته السياسية التغلب على هذه الأزمات والسيطرة على الموقف من خلال عقد صلح الحديبية والذي انتهى بفتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، وكان لهذا الفتح ثمار عظيمة وأهمها بأن قرئش استجابت للدعوة الإسلامية بصورة جماعية ولم يتخلف عنها إلا عدد قليل جداً، وعلى الرغم من تأخر بعض القبائل في الاستجابة للدعوة إلا أنها جسدت التعاطف العميق والإيمان الراسخ بحيث أصبحت بعض القبائل من أشد الناس حماسة للإسلام والدفاع عنه .

مشكلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة (الفتوحات الإسلامية في ضوء السيرة النبوية وقيام الدولة الإسلامية) لتوضيح جهود النبي صلى الله عليه وسلم في تأسيس الدولة الإسلامية من خلال دعوته بالسر أولاً ومن ثم الدعوة العلنية ، وكيف ساهمت غزواته صلى الله عليه وسلم بدخول أعداد كبيرة إلى الإسلام وتوقيع هدنة الحديبية ليستطيع المسلمون زيارة بيت الله الحرام وتعظيم شعائره ، وانتهت الهدنة بفتح مكة وحقق دماء الناس هناك بفضل قيادته الحكيمة وأرائه السديدة .

أسئلة الدراسة:

- جاءت هذه الدراسة بهدف الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي
- ما هي أبرز الفتوحات الإسلامية في ضوء السيرة النبوية ودورها في قيام الدولة الإسلامية؟
- ومن هذا السؤال يتفرع عدد من التساؤلات الفرعية التالية:
- 1- ما المقصود بمفهوم الفتوحات؟ وما هي الآيات القرآنية التي أشارت إلى الفتوحات الإسلامية؟
 - 2- ما حقيقة الفتوحات الإسلامية؟
 - 3- ما أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في تنظيم الدولة الإسلامية وتأسيسها؟
 - 4- ما هي أهم الغزوات التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم وكان لها دور كبير في تأسيس الدولة الإسلامية؟ وما هي أبرز جهوده في فتح مكة؟

أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة إلى ما يلي :
- 1- التعرف على مفهوم الفتوحات والوقوف على الأدلة القرآنية التي أشارت إلى الفتوحات الإسلامية .
 - 2- بيان حقيقة الفتوحات الإسلامية وطبيعتها .
 - 3- التعرف على الأساليب التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم لتنظيم الدولة الإسلامية وتأسيسها .
 - 4- التعرف على غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وجهوده العظيمة في فتح مكة وكيفية حقه للدماء في مكة المكرمة .

أهمية الدراسة :

تستمد الدراسة أهميتها من أهمية الفتوحات الإسلامية التي كان لها أثر كبير في تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، فقد انعكست غزوات النبي صلى الله عليه وسلم بشكل إيجابي على دخول أعداد كبيرة من العرب في الدين الإسلامي ، فقد امتاز تعامل النبي الكريم مع العرب في غزواتهم بالإنسانية ، والإدراك الواعي لجميع مجريات أحداث الغزوات ، أما في نقض العهود فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتهاون في هذه الأمور وهو ما دفعه إلى فتح مكة .

الدراسات السابقة :

1. أجرى الباحث محمد شيت خطاب (1960) دراسة بعنوان " الرسول القائد " وهدفت الدراسة إلى محاولة بيان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم العسكرية وإظهار نواحي العظمة الحقيقية فيها ، والإمام بكل تفاصيل معارك الرسول صلى الله عليه وسلم ووقائعها ، وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها : يعود انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم في كل معركة خاضها إلى عدة أسباب وهي :قيادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي تتسم بالعبقرية ، الحنود المتميزون وهم المسلمون الأولون ، الحرب العادلة وهي حرب المسلمين لأعدائهم ، تردي الحالة العسكرية لأعداء الإسلام من العرب والروم والفرس ، قاد الرسول صلى الله عليه وسلم ثمانين وعشرون غزوة خلال سبع سنين بعد هجرته إلى المدينة المنورة وكانت أول غزوة قادها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه هي غزوة ودان في السنة الثانية للهجرة ، وآخر غزوة هي غزوة تبوك من السنة الثامنة للهجرة .
2. أجرى الباحث عبد الله عبد العزيز بن إدريس (1982) دراسة بعنوان " مجتمع المدينة المنورة وتنظيم القبائل سياسيا واجتماعيا في عصر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (1- 11هـ/622-633م) " وهدفت الدراسة إلى إبراز نواحي الأصالة في التخطيط وتنظيم القبائل في المجتمع المدني خلال العصر النبوي ، ومعالجة أحوال المدينة منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إلى يثرب حتى انتقاله إلى الرقيق الأعلى عليه الصلاة والسلام ، وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها : إن تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم كان مبنيا على المرونة والرفق بهم قبل إسلامهم ، لما في ذلك من خير وصلاح للإسلام وأهله ، هدفت الدعوة إلى الهجرة إلى تكوين مجتمع إسلامي جديد يقوم على أسس قوية ومتينة من التحضر والاستقرار ، والابتعاد عن الانعزالية والفردية وإعداد النواة القوية الأولى للجيش الإسلامي لممارسة مهامه في الجهاد ومقاتلة الكفار .
3. أجرى الدكتور مصطفى السباعي (1985) دراسة بعنوان " السيرة النبوية دروس وعبر " وهدفت الدراسة إلى الوقوف على أعظم صور من حياة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ومن أبرز هذه الصور وأعظمها صورة القيادة أو الجندية بجميع معانيها وميادينها وأبعادها ، وحمل هذه المعاني والدروس في نفوس المتلقين مما ينعكس على استقامتهم وصلاح سيرتهم فيعود المجتمع الإسلامي بصفائه واستقامته ومثاليته من جديد إذ سيعود إلى الصدارة في قيادته لشعوب العالم ، وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها : إن طبيعة الحرب في الإسلام ليس الهدف منها العدوانية والاستفزاز ، ولكنها للدفاع عن الدين والبلاد وردع المعتدين ومنعهم من الأذى والفساد ، إن آخر عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر الدعوة وحمايتها ، ورد غارة المعتدين على الدولة الجديدة والمتربصين بها أن جهز جيشا إلى الشام تحت قيادة أسامة بن زيد .

4. أجرى الباحث محمود شاکر (2002) دراسة بعنوان " موسوعة الفتوحات الإسلامية " وهدفت الدراسة إلى تسجيل الأحداث التاريخية الإسلامية المتمثلة بالفتوحات التي قام بها المسلمون و ضربوا أروع الأمثلة في البطولة والتضحية والعطاء ، وخلصت الدراسة إلى نتائج منها :النجاح الذي حققه المسلمون في الحروب التي خاضوها ضد أقوى إمبراطوريتان وهما : الساسانية والبيزنطية وساعد على انهزامهما عوامل عدة منها : الانقسام الديني ، الاختلاف الاجتماعي ، والتعب والإرهاك من الحروب الطويلة ، من أهم العوامل التي ساهمت في إنجاح الفتوحات الإسلامية توحيد أبناء القبائل العربية وفق إطار الأمة الواحدة .

5. أجرى الباحث محمد عمر الشاهين (2009) دراسة بعنوان " أسس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة " وهدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم الدولة قبل الإسلام ، وتوضيح الانجازات العظيمة التي قام بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لتأسيس دولة المدينة المنورة ، وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها : كان العرب على معرفة بمفهوم الدولة ولكن ليس المفهوم المعاصر ، فقد كان مجتمع الدولة في ذلك الوقت يقوم وجود المجتمع السياسي المتمثل بوجود (حاكم ومحكوم) ، ووجود إقليم وتوافر عناصر السيادة ، بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم تأسيس الدولة الإسلامية وتثبيت أركانها منذ دخوله المدينة ومن الأعمال التي قام بها لتثبيت نظام الدولة : بناء المسجد يليه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ثم إصدار وثيقة المدينة ، ومن ثم إنشاء الجيش وتنظيم الجهاد .

مفهوم الفتح وأدلته في القرآن الكريم :

مفهوم الفتح : " ما قام به المسلمون من جهاد وفتح للبلدان وتمهيد لدعوة الله وتبليغ دين الإسلام إلى خلق الله وتحطيم قوى الشر التي كانت تمنع المسلمين والناس من ذلك في البلاد المختلفة " ¹
وردت كلمة فتح في آيات قرآنية كثيرة ومنها : قوله تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) ²، وقوله تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح) ³، وفي قوله تعالى : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) ⁴، وقوله تعالى : (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) ⁵، وفي قوله تعالى : (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) ⁶.

¹ عبد العزيز بن إبراهيم العمري ، الفتوح الإسلامية عبر العصور ، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض ، 4 ط ،

1436هـ-2015م ، ص 11

² سورة الفتح ، الآية (18)

³ سورة النصر ، الآية (1)

⁴ سورة الفتح ، الآية (1)

⁵ سورة الحديد ، الآية (10)

⁶ سورة الصف ، الآية (13)

حقيقة الفتوحات الإسلامية وطبيعتها :

سار الإسلام على القاعدة الإسلامية في قوله تعالى : (لا أكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)⁷، وهذه الآية تفند آراء الغرب وكلامهم الذي يقول أن الفتوحات الإسلامية كانت عبارة عن اطماع وهجرة الجيوش إلى البلاد الأخرى ، ويدل على هذا الكلام أقوال سيد قطب في الغرب وأعوانهم : " فهؤلاء وأولئك لم يدركوا طبيعة الفتوح الإسلامية وبواعثها مما جعلهم يتكلمون عنها بصورة تشوه نقاءها وتنال من طهارتها وسمو طبيعتها وبواعثها وأهدافها"⁸

وهذه الآية الكريمة توضح حقيقة الفتوحات الإسلامية التي قام بها أعظم رجل في التاريخ محمد صلى الله عليه وسلم وقد اجتمع حوله أعدادا كبيرة من المسلمين الفاتحين وكان هدفهم الأسمى تحرير المسلمين من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام وهدية والافتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والسير على نهجه لإنشاء الدولة الإسلامية ، وقد اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة في وضع الأركان الرئيسية للدولة الإسلامية وفق الآية الكريمة التي وضحها الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن أن ربك أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)⁹

فالهدف من الفتوحات الإسلامية هو إعلاء كلمة الله حتى يصبح الإسلام هو دين البشر جميعا الذي يضمن لهم حرية الاعتقاد وحرية الدعوة قال تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام)¹⁰

بداية الدعوة الإسلامية وكيفية تنظيم الرسول صلى الله عليه وسلم للدولة الإسلامية:

يمكن تقسيم حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من الناحية العسكرية إلى أربعة أقسام وهي : دور التحشد ، دور الدفاع عن العقيدة ، دور الهجوم ، دور التكامل¹¹ .

تنقسم مظاهر بناء الدولة الإسلامية ونجاحها إلى قسمين : قسم غيبي وهو متعلق بتوفيق الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم والقسم الثاني : أسباب معنوية ومادية ساهمت في إنجاح وتأسيس دولة الإسلام .

يقوم البناء الداخلي للدعوة الإسلامية بدأ من نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الدعوة للدين الإسلامي كانت سرا ، وهي الدعوة التي استمرت ثلاث سنوات في مكة المكرمة " بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يدعو إلى الإسلام من وثق بعقله ثلاث سنوات كاملة ، حتى أسلم عدد من الرجال والنساء ممن عرفوا برجحان العقل وسلامة النفس

12»

⁷ سورة البقرة ، الآية (256)

⁸ ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله المصري ، فتوح مصر والمغرب والأندلس ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، القاهرة ، 1966 ، ص 4

⁹ سورة النحل ، الآية (125)

¹⁰ سورة آل عمران ، الآية (19)

¹¹ محمد شيت خطاب ، الرسول القائد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، بغداد ، ط2 ، 1960 ، ص 9

¹² الدكتور مصطفى السباعي ، السيرة النبوية دروس وعبر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط8 ، 1405هـ-1985م ، ص 46

كانت الفئة المستهدفة في الدعوة السرية للدين الإسلامي هي فئة الأتباع والأنصار من أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصدقائه ، وأبرز ما يميز هذه المرحلة هو المحافظة على السرية وكتمان الدعوة .

إن الدعوة السرية هي من أخطر المراحل على الإطلاق وأعداد أوائل المسلمين سرا وتربيتهم على العقائد والعبادات هو من أهم عوامل تأسيس الدولة الإسلامية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المسلمين في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، وتقع هذه الدار على جبل الصفا قريبة من الكعبة المشرفة وكان النبي الكريم يجلس فيها مع الصحابة فكانت بمثابة المكان الذي تؤدي فيه الصلاة وأيضا مركز للدعوة والاجتماع وقد أطلق عليها اسم دار الإسلام.¹³

وقد برز عامل الكتمان والسرية كأهم العوامل في نجاح الدعوة الإسلامية التي كانت البذرة الأولى لتأسيس الدولة الإسلامية ، فسرية الدعوة كانت من الإجراءات الوقائية التي حافظت على الدعوة وكانت دليلا قاطعا على ذكاء الرسول صلى الله عليه وسلم حيث جسد منذ البداية مثال القائد الذكي والداعية الفطن .

أما المرحلة الثانية من الدعوة الإسلامية هي دعوة قريش إلى الإسلام بعد أن بلغ عدد الداخلين إلى الإسلام ما يقارب (30) مسلما وذلك بأمر من الله سبحانه وتعالى في قوله : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)¹⁴

وقد كانت هذه المرحلة من المراحل الصعبة التي تعرض فيها المؤمنون والرسول الكريم إلى الإيذاء بعد أن دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وترك عبادة الأوثان ، عندئذ قررت قريش النيل من الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن الله حماه بعمه أبي طالب ، وبعد ذلك اشتد عذاب وأذى المشركين للرسول الكريم والصحابة رضوان الله عليهم فقد مات منهم من مات ، وعندما لاحظت قريش ثبات المؤمنين على عقيدتهم ، قررت مفاوضة الرسول صلى الله عليه وسلم وأعطاه المال والملك عليهم ، لكن الرسول الكريم رفض ذلك ، فزاد تعنت قريش واستمرت في تعذيب الصحابة رضي الله عنهم ، فما كان من الرسول إلا أن يقول لهم : " لوخرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن فيها ملكا لا يظلم أحدا عنده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه " وكانت الهجرة الأولى للمسلمين وقد بلغ عددهم (12) رجلا ، و(4) نسوة.¹⁵

شملت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قومه من قريش سكان مكة المكرمة وما حولها.

عاد المهاجرون إلى الحبشة بعد سماعهم نبأ إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي تعددت الروايات واختلفت بكيفية إسلامه وجميعها تفيد بأن سيدنا عمر بن الخطاب قد أسلم بسبب سماعه القرآن الكريم والتأثر به.¹⁶

تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة صنوفا متنوعا من العذاب وأشكال مختلفة من الإيذاء وما زاد هذا العذاب والأذى إلا إصرارا على استمرار الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الإسلام وتبليغ رسالته ، وكان الإيذاء هو الطريق الذي فتح للكثير من الناس للدخول بالإسلام ،

¹³ ينظر : خير الدين الزركلي , الأعلام , دار العلم , بيروت , ط5 , 2002, ج 1 , ص 288

¹⁴ سورة الحجر , الآية (94)

¹⁵ ينظر : مصطفى السباعي , السيرة النبوية دروس وعبر , مرجع سابق , ص 46-48

¹⁶ ينظر : عبد السلام بن محسن آل عيسى , شهيد المحراب الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه , مبرة الأمل

والأصحاب , ط1 , 2010, ص 30

ومن تلك الأمثلة دفع إيذاء حمزة بن عبد المطلب للرسول الكريم إلى إعلان إسلامه ، وإسلام عمر بن الخطاب عندما رأى الدم يسيل من خد أخته .¹⁷

عانى المسلمون من الحصار والمقاطعة التي رفضتها عليهم قريش ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتوانى ولم يتراجع عن دعوته فقد انتصر على جميع العقبات بمواصلة الدعوة الإسلامية ونصرة الدين ، وعلى الرغم من العداء والأذى الذي لحق بالمؤمنين وأقاربهم وأولياهم وأنصارهم ، فلم يهتم الرسول صلى الله عليه وسلم لجميع مصادر الأذى التي لحقت به وبقومه من المؤمنين لأنه كان على يقين بأن الله لن يتخل عنه وأنه مؤيد منه سبحانه وتعالى .

كانت لمقاطعة قريش أثرا إيجابيا كبيرا على الدعوة الإسلامية ومن خلالها ذاع الإسلام وانتشرت أخبار المقاطعة في أواسط القبائل لا سيما عندما كان العرب يأتون إلى مكة المكرمة للحج والتجارة ، فوصلت إليهم دعوة الرسول الكريم فمنهم من آمن بالله ومنهم من استمر في ضلاله .¹⁸

وفي السنة العاشرة للبعثة توفي أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذي كان شديد الدفاع عن ابن أخيه ، وقد حزن الرسول صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا ، وفي العام ذاته توفيت السيدة خديجة رضي الله عنها وهي التي كانت تخفف عنه الأحزان والهموم التي كانت يتلقاها من أعداء الإسلام ، وقد سمي العام الذي توفي فيه عم الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجته السيدة خديجة عام الحزن .¹⁹

لتوسيع نطاق الدعوة الإسلامية خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وهي من المدن القريبة من مكة المكرمة والتقى هناك بسادة ثقيف وأشرفهم ، ولم يجد الرسول الكريم استجابة لهذه الدعوة ، إذ يقول الإمام أبو زهرة : " وقد كانت هذه الرحلة النبوية إلى ثقيف غير محققة الاستجابة ، ولكنها كانت جهادا في سبيل الدعوة من صاحبها " .²⁰

كانت مكة المكرمة تحظى بمكانة رفيعة بين العرب الذين كانوا ينظرون إليها على أنها مصدر المعرفة العربية وفيها حج بيت الله الحرام وهي ملتقى العرب في موسمهم ، وفي موسم الحج يلتقي العرب من كل الأطياف ويتبارى الشعراء والخطباء في عكاظ وذو مجاز ومجنة ، لذلك اختار الله سبحانه وتعالى مكة المكرمة لتكون مهبطا للوحي ومركزا للدعوة الإسلامية .²¹

وكانت العرب تتداول كل ما يجري في مكة المكرمة من أحداث ومنها رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم التي تدعو إلى عبادة الله عز وجل وحده ونبد عبادة الأصنام ، وقد انتشرت أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بين العرب ، فكان بعضهم يأتي إلى مكة المكرمة للتعرف على ما يدعو إليه الرسول الكريم وهناك من كان يرسل إليه لمعرفة دعوته ودراستها .²²

¹⁷ ينظر : الإمام محمد أبو زهرة ، المرجع في السيرة النبوية خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1433هـ-2012م ، مج 1 ، ص 325

¹⁸ ينظر : الإمام محمد أبو زهرة ، المرجع في السيرة النبوية خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، مرجع سابق ، ص 387

¹⁹ ينظر : مصطفى السباعي ، السيرة النبوية دروس وعبر ، مرجع سابق ، ص 53-54

²⁰ الإمام محمد أبو زهرة ، المرجع في السيرة النبوية خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، مرجع سابق ، ص 403

²¹ ينظر : المرجع السابق ، ص 423

²² ينظر : المرجع السابق ، ص 423

وكان ممن أسلم طفيل بن عمر الذي جاء إلى المدينة للتعرف على دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، كذلك وفد نصارى نجران الذين أسلموا عندما سمعوا بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما انتشر الإسلام في المدينة المنورة قبل قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إليها وقبل إرسال مبعوث إليهم يتلو عليهم آياتا من القرآن الكريم ويعلمهم الإسلام .²³ عندما علمت قريش بإسلام طائفة من أهل يثرب اشتد أذاها على المؤمنين في مكة المكرمة فأذن الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بالهجرة إلى يثرب وخرجوا أفرادا وجماعات .²⁴ وقد كانت الهجرة مرحلة من المراحل لترتيب الدعوة الإسلامية ، وخرج من موطن لا مكان ولا قوة للإسلام فيه إلى موطن يكون للإسلام فيه قوة ونصرة ، بحيث يمكن إنشاء دولة إسلامية ، فلم يستطع الرسول صلى الله عليه وسلم تنفيذ مبادئ الإسلام في مكة المكرمة وهي المدينة التي يحكمها المشركون فلا يمكن إقامة الحدود وتحقيق المساواة والعدل كما لا يمكن جمع الزكاة في ظل وجود سلطان عادل يقوم بجمعها من الأغنياء وإعطائها للفقراء ، ولا يمكن للرسول صلى الله عليه وسلم محاربة الربا الجاهلي وتنظيم المعاملة بين الناس على أساس العدل والرضا إلا بوجود دولة إسلامية تتحكم إلى كتاب الله عز وجل فتنفذ أوامره وتبتعد عن نواهيه .²⁵

أهم غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وفتح مكة :

بعد أن استقر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة بدأت المعارك بينه وبين قريش والقبائل العربية المؤيدة لها ، وأطلق المؤرخون المسلمون مصطلح غزوة على كل معركة دارت بين المسلمين والمشركين بحضور النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أطلقوا مصطلح (سرية) على كل مناوشة جرت بين المسلمين والمشركين ولم يحضرها النبي صلى الله عليه وسلم .²⁶ بلغت غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ستا وعشرين غزوة ، وبلغت عدد سراياه ثمانية وثلاثين سرية .²⁷ ومن أهم الغزوات التي شارك فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : غزوة بدر ، غزوة أحد ، غزوة الخندق .

أولا : غزوة بدر

وهي من الغزوات الحاسمة في التاريخ الإسلامي وهناك عدة عوامل ساهمت في حدوثها ومنها : ازدياد أعداد المسلمين في المدينة ، أن للمشركين ثأر عند المسلمين بعد قتل عمرو بن الحضرمي وذلك لتستعيد قريش كرامتها وهيبتها أمام العرب ، سيطرت المسلمين على الطرق التجارية الحيوية بين الشام ومكة وتردي أوضاع قريش الاقتصادية ، فكانت هذه العوامل فرصة لقريش للقضاء على الدين الجديد .²⁸

²³ ينظر : المرجع السابق , ص 436-437

²⁴ ينظر : المرجع السابق , ص 449

²⁵ ينظر : المرجع السابق , ص 453

²⁶ ينظر : مصطفى السباعي , السيرة النبوية دروس وعبر , مرجع سابق , ص 79

²⁷ المرجع السابق , ص 79

²⁸ ينظر : محمد شيت خطاب , الرسول القائد , مرجع سابق , ص 67

بلغ عدد المسلمين (315) رجلا من المهاجرين والأنصار بقيادة الرسول الكريم ، أما عدد المشركين فقد بلغ (950) رجلا.²⁹ وقعت معركة بدر في صباح يوم الجمعة (17) رمضان من السنة الثانية للهجرة وانتهت مساء ذلك اليوم.³⁰ انتصر المسلمون في هذه الغزوة ومن أسباب انتصارهم أن الرسول الكريم هو القائد العام للمسلمين في بدر وأن المسلمين كانوا يدا واحدة وقاموا بتنفيذ أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم على أكمل وجه.³¹

ثانيا : غزوة أحد

استطاع المسلمون السيطرة التامة على الطرق التجارية المؤدية إلى الشام وإلى العراق ، واقتصرت قريش في تجارتها على الحبشة وهي تجارة غير رابحة ، كما استطاع المسلمون السيطرة على المدينة بحيث أصبحت هي القاعدة الأمنية لتحركاتهم ودعواتهم العسكرية القادمة.³²

بلغ عدد المسلمين في غزوة أحد ستمائة وخمسون رجلا وخمسون فارسا بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما المشركون فقد بلغ عددهم ألفان وتسعمائة من قريش ومواليها وأحبيشها ومائة من بني ثقيف ، بينهم سبعمائة دارع فقط ، ومع القوة مائتا فرس وثلاثة آلاف بغير وهذه القوات بقيادة أبي سفيان ، واستصحب أكثر زعماء قريش نساءهم للتشجيع ورفع المعنويات.³³

كان هدف المشركين من هذه الغزوة الأخذ بثأرهم من المسلمين في معركة بدر وسرية زيد بن حارثة ، لاستعادة شرفهم وكرامتهم بين العرب ، أما هدف المسلمين منها الدفاع عن المدينة وصد قريش عنها ، لتتوفر لهم الحرية الكاملة لنشر الدعوة إلى الإسلام بحرية وسلام.³⁴

حدثت غزوة أحد في السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وقد انتصر المسلمون في بداية المعركة ، لكنهم في نهايتها خالفوا أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم مما جعل خسائر المسلمين أكثر .

ثالثا : غزوة الخندق

قام كفار قريش بحشد أكبر قوة مكونة من قوى قريش والقبائل الأخرى للقضاء على الإسلام ، أما المسلمون فقد استطاعوا توحيد صفوفهم بعد غزوة أحد وتخلصوا من يهود بني النضير و أصبح لهم قوة مركزية في المدينة المنورة.³⁵

²⁹ ينظر : المرجع السابق , ص 69

³⁰ ينظر : محمد شيبث خطاب , الرسول القائد , مرجع سابق , ص78

³¹ ينظر : المرجع السابق , ص 78-79

³² ينظر : المرجع السابق , ص 107

³³ محمد شيبث خطاب , الرسول القائد , مرجع سابق , ص 108

³⁴ المرجع السابق , ص 108-109

³⁵ المرجع السابق , ص 147

بلغ عدد المسلمين في هذه الغزوة ثلاثة آلاف رجل بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغ عدد المشركين عشرة آلاف ، منهم أربعة آلاف من قريش وسنة آلاف من بني سليم وأسد وفزارة وأشجع وغطفان .³⁶
وقعت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة للهجرة واستمر الحصار حوالي شهر واحد.³⁷ انتهت المعركة بانتصار المسلمين على الأحزاب الذين انسحبوا ليلاً وتفرقوا وسط رياح عاتية وبرد قارس .

رابعاً: غزوة الحديبية وفتح مكة

كانت بداية الفتح عندما قرر الرسول صلى الله عليه وسلم التوجه إلى بيت الله في مكة المكرمة ، وكان ذلك في شهر ذي القعدة الحرام من السنة السادسة للهجرة ، وقام بإرسال الرسل إلى القبائل غير المسلمة للخروج على الكعبة وزريارتها وتعظيمها لا للقتال فيها .³⁸

بلغ عدد المسلمين في غزوة الحديبية أربعمئة وألف مسلم بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان سلاحهم السيوف ، أما قريش فقد كانت مع بعض حلفائها المترددين ، لأنهم لم يشاطروا قريشاً رأيها في صد المسلمين عن البيت الحرام بعد أن جاؤوا لتعظيمه لا للقتال .³⁹

كان هدف المسلمين في هذه الغزوة ليس القتال بل إظهار قوتهم أمام قريش والقبائل المجتمعة وطاعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بالدعوة الإسلامية ، وأيضاً إظهار تعظيم المسلمين للبيت الحرام عملياً ليتأكد العرب من ذلك على يقين لا يتطرق إليه الشك .⁴⁰

أخبرت قريش بأن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل مكة زائراً وليس مقاتلاً ، لكن هاجم ما يقارب (50) مشركاً معسكر المسلمين واستطاع المسلمون أسرهم ، لكن أطلق الرسول الكريم سراحهم ليثبت نواياه السلمية ولا يكون لقريش حجة في تحشيد العرب ضد المسلمين.⁴¹

خرج المسلمون من هذه الغزوة دون قتال وقد تم توقيع هدنة بين المسلمين وبين قريش انتهت ب : " باعتراف قريش بالمسلمين طرفاً مساوياً لها ، فتح المجال للرسول لعقد محادثات مع القبائل التي لم تكن تطمئن لمحالفته لقوة قريش ولوجود الكعبة بمكة ، تيسير الوقت لنشر المسلمين دعوتهم بأمان ، السماح للمسلمين بزيارة البيت بعد عام والبقاء بمكة ثلاثة أيام"⁴² كان لهدنة الحديبية نتائج إيجابية حيث استطاع المسلمون القضاء على اليهود من الناحية العسكرية في المدينة المنورة ، كما اتاحت لهم الفرصة في السيطرة على القبائل الواقعة شمال المدينة حتى حدود العراق والشام مما ساهم في انتشار الإسلام بين جميع القبائل العربية .⁴³

³⁶ محمد شيبث خطاب ، الرسول القائد ، مرجع سابق ، ص 148

³⁷ المرجع السابق ، ص 148

³⁸ المرجع السابق ، ص 177

³⁹ المرجع السابق ، ص 178

⁴⁰ محمد شيبث خطاب ، الرسول القائد ، مرجع سابق ، ص 179

⁴¹ ينظر : المرجع السابق ، ص 180

⁴² المرجع السابق ، ص 185

⁴³ المرجع السابق ، ص

وكان السبب الرئيسي في فتح مكة هو نقض قريش لصلح الحديبية واعتداء بني بكر على خزاعة فقد ساعدتهم قريش وزودتهم بالسلاح وقاتلت معهم ليلا ، ولجأت خزاعة إلى البيت الحرام ، ولم يمنع بنو بكر الدخول في الحرم إلى وقف القتال ، بل صممت على القضاء عليهم وعدم الاكتراث لعهد الحديبية .⁴⁴
وصل خير نقض قريش لصلح الحديبية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقرر الرسول الكريم فتح مكة ، على الرغم من محاولة عقلاء قريش التدخل وتثبيت الهدنة وإطالتها ، لكن الرسول الكريم كان قد أصر على هذا الفتح وإعلان الحرب على قريش .⁴⁵

بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بالتجهيز لهذا الفتح العظيم وحاول كتم خبر الفتح عن قريش ، وبلغ عدد المسلمين لهذا الفتح عشرة آلاف بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما المشركون فكانوا قريش وبنو بكر وكل جماعة لها قائدها الخاص .⁴⁶

وقع الفتح في رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، إذ خرج المسلمون من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، وتكون جيش المسلمين من المهاجرين والأنصار وسليم ومزينة وطفان وقبائل أخرى انضمت إلى جيش المسلمين كانت تسكن على جوانب الطريق المؤدي إلى مكة ، فكان جيش المسلمين من أعظم الجيوش وأكبرها .⁴⁷

طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من المسلمين عند وصولهم إلى موضع يدعى (مر الظهران) مساء وهو مكان قريب من مكة مسافة أربعة فراسخ بأن يوقد كل مسلم نارا حتى تدرك قريش قوة المسلمين وضخامة جيشهم ، فتؤثر على معنوياتهم وتستسلم للمسلمين دون إراقة الدماء .⁴⁸

من أبرز أهداف النبي صلى الله عليه وسلم في خطته لدخول مكة هو فتح مكة بطريقة سلمية وبدون قتال ، وأن لا يقتل القادة إلا إذا كانوا مضطرين للقتال .⁴⁹

دخلت قوات المسلمين إلى مكة المكرمة ، فلم تجد مقاومة إلا جيش خالد بن الوليد وقد أمطرتهم قوات المسلمين بوابل من السهام ، وما لبثوا حتى فروا مع قواتهم ، وهكذا استلمت مكة المكرمة إلى المسلمين .

⁴⁴ ينظر : محمد شيت خطاب ، الرسول القائد ، مرجع سابق ، ص 224

⁴⁵ ينظر : المرجع السابق ، ص 224-225

⁴⁶ ينظر : المرجع السابق ، ص 226

⁴⁷ ينظر : المرجع السابق ، ص 226-227

⁴⁸ ينظر : محمد شيت خطاب ، الرسول القائد ، مرجع سابق ، ص 227

⁴⁹ ينظر : المرجع السابق ، ص 230

نتائج الدراسة :

توصلت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج من أبرزها :

- هناك عدد من الآيات القرآنية التي تحدثت عن الفتوحات الإسلامية .
- اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة في تأسيسه للدولة الإسلامية وهي الدعوة إلى الإيمان بالله من خلال الموعدة الحسنة ، فقد خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم جميع فئات المجتمع باختيار الألفاظ المناسبة التي تشتمل على العلم النافع والعمل الصالح .
- الهدف من الفتوحات الإسلامية هو إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى بحيث يصبح الإسلام دين للبشرية جمعاء .
- أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسباب المعنوية والمادية التي ساهمت بشكل كبير في تأسيس دولة إسلامية من أقوى الدول في تلك الفترة .
- كانت البذرة الأولى لتأسيس الدولة الإسلامية هي عامل الكتمان والسرية الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم في أكثر من حدث وساهم في تغيير مجرى الأحداث لصالح الدعوة الإسلامية ومن ذلك بداية دعوته سرا ، أيضا دخوله لفتح مكة المكرمة وكتمان هذا الخبر عن قريش مما ساهم في سهولة الفتح المكي .
- شارك الرسول صلى الله عليه وسلم بست وعشرين غزوة ، وبلغ عدد سراياه ثمانية وثلاثين سرية .
- من أهم الغزوات التي شارك فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : غزوة بدر ، غزوة أحد ، غزوة الخندق ، غزوة الحديبية ، فتح مكة .
- كان الرسول صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على عدم إراقة الدماء وهو دليل على أنه القائد الفذ وأن الغرض من غزواته وفتحه لمكة هو حماية نشر الإسلام وتوطيد أركان السلام .

المصادر والمراجع :

- الكتاب والسنة
- محمد شيت خطاب ، الرسول القائد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، بغداد ، ط2 ، 1960م .
- ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله المصري ، فتوح مصر والمغرب والأندلس ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، القاهرة ، 1966م .
- عبد الله عبد العزيز بن إدريس ، مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ط1 ، 1402هـ-1982م .
- الدكتور مصطفى السباعي ، السيرة النبوية دروس وعبر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط8 ، 1405هـ-1985م .
- خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم ، بيروت ، ط5 ، 2002م .
- محمود شاكر ، موسوعة الفتوحات الإسلامية ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2002م .
- محمد عمر الشاهين ، أسس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإسلامية ، المجلد (4) ، العدد (2) ، السنة الرابعة ، 2009م .
- عبد السلام بن محسن آل عيسى ، شهيد المحراب الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مبرة الآل والأصحاب ، ط1 ، 2010م .
- الإمام محمد أبو زهرة ، المرجع في السيرة النبوية خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1433هـ-2012م .
- عبد العزيز بن إبراهيم العمري ، الفتوح الإسلامية عبر العصور ، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط4 ، 1436هـ-2015م .